المحاضرة الثانية عشرة

بيعة العقبة

بيعة العقبة الأولي التي ركزت علي الجانب الإيماني والعقدي، والثانية التي ركزت على تأسيس مقومات الدولة، وقيام أركان الاجتماع السياسي بصورة لم يسبق لها مثيل ولا نظير في تاريخ التحول البشري، والاجتماع السياسي،ـــــ لا يخفى أن البيعة الأولى كانت تدور في فلك ضرورة الإيمان بهذه الدعوة الجديدة وحمايتها ونشرها بين أوساط قبائل الأوس والخزرج تمحيصاً لتحقيق أبعاد المشروع السياسي، وذلك بإقامة دولة الإسلام بأركانها الاعتبارية (دار وأنصار وسلطان) أرض وشعب وحكومة ، وهذا البعد السياسي فيما يبدو كان واضحاً في أذهان الخزرج، وبرهان ذلك حين أشاروا على الرسول الكريم – ص – أن يتريث في القدوم عليهم إلى أن يتمكنوا من ترتيب الأوضاع في بلادهم من الناحية السياسية والأمنية وغير ذلك مما هو لازم لذلك التحول التاريخي ، ثم أرسل الرسول القائد – ص – بعد هذه البيعة مصعب بن عمير – رض – لتحقيق هذه المقدمات الضرورية لقيام الدولة الإسلامية، فانطلق مصعب بن عمير ومن أحاط به من رجال الأنصار رضوان الله عليهم يقصدون كسب سادة المدينة إلى الإسلام، فأسلم حينئذ عدد من زعماء المدينة، منهم أسيد بن الحضير، و سعد بن معاذ، وحين أصبح عدد الزعماء الذين أسلموا من أهل المدينة كافياً لتقديم النصرة إلى الدعوة بمعنى تسليم السلطة السياسية إلى الرسول القائد – ص – هنالك عقد الأنصار في المدينة مقر الدولة الإسلامية الجديد مؤتمراً فيما بينهم قرروا فيه إعطاء النصرة للرسول – ص – لكي يتسلم مقاليد الحكم والسلطان في المدينة، وعلى إثر هذا المؤتمر قدم وفد من هؤلاء الأنصار والزعماء يتألف من ثلاثة وسبعين رجلاً، وامرأتين وذلك في موسم الحج وتم عقد بيعة العقبة الثانية التي أعطي فيها زمام الحكم والدعوة لصاحبها رسول الله – ص –؛ وذلك في الموعد نفسه الذي ضربه رسول الله للاجتماع بهم.

أما عن البعد العسكري ، فلا ريب أنه لا يستقيم أمر عقيدة، وفكر سياسي، وكيان دولة تتجلى على أرض الواقع؛ إلا بقوة عسكرية تحميها في مراحل تأسيسها وتمكينها؛ولذلك سميت هذه البيعة ببيعة الحرب لان الأنصار تعهدوا بالدفاع عن الرسول ونصرته ، وهذا واضح من النصوص التي دارت بين الأنصار والرسول ص فقد جاء في رواية الزهري فيما قاله أسعد بن زرارة – رض – أحد رجالات الأنصار في هذا الاجتماع، قال: « يا رسول الله ! إن لكل دعوة سبيلاً إنْ لينٌ وإنْ شدةٌ ! ! وقد دعوتنا اليوم إلى دعوة متجهمة للناس، متوعرة عليهم ! ! دعوتنا إلى ترك ديننا واتباعك إلى دينك، وتلك مرتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك ! ودعوتنا إلى قطع ما بيننا وبين الناس من الجوار، والأرحام، والقريب والبعيد، وتلك مرتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك ! ودعوتنا ونحن جماعة في عز ومنعة، ولا يطمع فينا أحد أن يرأس علينا رجل من

غيرنا، قد أفرده قومه، وأسلمه أعمامه، وتلك رتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك ! وكل تلك الرتب مكروهة عند الناس إلا من عزم الله على رشده، والتمس الخير في عواقبها، وقد أجبناك إلى ذلك بألسنتنا، وصدورنا، نبايعك على ذلك، ونبايع الله ربك، يد الله فوق أيدينا، ودماؤنا دون دمك . ثم قام العباس بن نضلةأحد زعماء الأنصار الذين حضروا البيعة، فألقى كلمة توضيحية قال فيها: « هل تدرون علامَ تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا: نعم ! قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، ثم قام أبو الهيثم بن التيهان أحد زعماء الأنصار الذين حضروا البيعة، فألقى كلمة أكد فيها على أهمية البعد العسكري لهذه البيعة المباركة، فقال لهم: « يا قوم ! هذا رسول الله، أشهد أنه لصادق، وأنه اليوم في حرم الله وأمنه، وبين ظهري قومه وعشيرته، فاعلموا أنه إن تخرجوه رمتكم العرب عن قوس واحدة ! فإن طابت أنفسكم بالقتال في سبيل الله، وذهاب الأموال، والأولاد فادعوه إلى أرضكم؛ فإنه رسول الله حقاً، وإن خفتم خذلاناً فمن الآن ، فقالوا عند ذلك: قبلنا عن الله، وعن رسوله ما أعطيانا، وقد أعطينا من رسول الله الذي سألتنا يا رسول الله«

ذكر ابن حجر –وهو بصدد حديثه عن بيعة الحرب، بيعة قيام الدولة الإسلامية، مؤكداً فيها على أهمية البنود الواردة بخصوص الأمن والتأمين للدعوة والدولة في مراحل تأسيسها والتمكين لها: إنما كان ليلة العقبة ما ذكر ابن إسحاق وغيره من أهل المغازي أن النبي – ص – قال لمن حضر من الأنصار: « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم، وأبناءكم، فبايعوه على ذلك، وعلى أن يرحل إليهم، هو وأصحابه، وفي رواية أحمد: « وعلى أن ننصر رسول الله – ص – إذا قدم علينا يثرب، فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا، وأزواجنا، وأبناءنا ، وينبغي ألا يغرب عن بالنا أن طلب الرسول – ص – من الأنصار في هذه البيعة بيعة الدولة الإسلامية التأمين الشامل والكامل بشقيه الوقائي والإيجابي في إطار (الأنفس، والأزواج، والأولاد، والأصحاب) ما هي إلا سنة من سنن قيام الدولة الإسلامية التي تساعد على انطلاق الدعوة الإسلامية وحمل رسالتها السامية إلي العالمين